جمع القرآن ومراحلة:

جمع القرآن الكريم وتدوينه مر بثلاث مراحل كانت الاولى في عهد النبي محمد ﷺ و الثانية في عهد ابو بكر و الثالثة في عهد الخليفة الثالث.

المرحلة الاولى: جمع القرآن في عهد النبي ﷺ وفق رأي ابناء السنة.

يذهب أكثر علماء أهل السنة إلى الاعتقاد بأن القرآن لم يتمّ تدوينه وجمعه في كتابٍ رسميٍّ على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن لدى الصحابة آنذاك كتاباً مجموعاً بين دفتين، وإن كان مكتوباً في صحف متفرقة[1] قال الخطابي: (إنما لم يجمع القرآن في المصحف؛ لما كان يترقّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته)[2]. [فكان النبي الأكرم ﷺ على الدوام بانتظار وحي جديد، ولم يحصل في حياته على فرصة ينقطع فيها الوحي ليأمر فيها كتّاب الوحي بكتابة القرآن وتدوينه وترتيبه في ضمن مصحف واحد أبداً]. وقال الطبري أيضاً: [(كان القرآن متفرقاً حتى عهد أبي بكر وعثمان، ولم يكن مرتباً أو منظماً على شكل مصحف واحد)][3] وقال الزركشي [ما معناه]: (بعد رحيل النبي أخذ الصحابة يجمعون القرآن من العُسُب واللخاف والرقاع والأكتاف وصدور الرجال)[4].

المرحلة الثانية : جمع القرآن في عهد ابي بكر

([1]) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 202.

([2]) المصدر نفسه ، 202/1

([3])انظر: ابن النديم، محمد بن إسحاق النديم، كتاب الفهرست، ص 42.

([4])الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 295 ـ 300.

ان جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق فكان عبارة عن نقل القرآن جميعه من العسيب واللخاف والرقاع والعظام وكتابته في مكان واحد، وهي الصحف مرتبة الآيات والسور مقتصرة فيه على ما ثبتت قرآنيته بالتواتر.

وقد كان الغرض من هذا الجمع الاحتياط والمبالغة في حفظ هذا الكتاب خوفا عليه أو على شيء منه من الضياع بسبب موت كثير من حملته وحفّاظه الكبار الذين قتل منهم عدد يزيد على (٧٠) سبعين في معركة اليمامة .وقد روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت أنه قال :أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة أي عقب استشهاد كبار الحفاظ فإذا عمر جالس عنده، فقال أبو بكر :إن عمر جاءني فقال : إن القتل قد استحرّ- أي كثر واشتد- يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن، فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت :وكيف أفعل ما لم يفعله رسول الله ﷺ ، فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى.

قال زيد بن ثابت :فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك. وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن واجمعه .قال زيد :فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن .قلت :كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال: (أي أبو بكر) هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسيب

واللخاف وصدور الرجال. ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) . [1]

المرحلة الثالثة: الجمع في عهد عثمان للقرآن كان عبارة عن نقل ما في الصحف السابقة في مصحف هو الإمام. ثم نسخت منه مصاحف أرسلت إلى الأقطار الإسلامية. وكان المقصود من جمع القرآن وكتابته في تلك المصاحف، الاقتصار على ما ورد من القراءات الثابتة المتواترة دون ما لم يكن كذلك من الأوجه التي نزلت أولا للتيسير. ثم نسخت بالعرضة الأخيرة من الرسول ﷺ على أمين الوحي جبريل عليه السلام

وفي سبب جمع عثمان للقرآن الكريم روى البخاري(بسنده عن أنس بن مالك أنه قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان :يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب أي القرآن (اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة :أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في مصحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في مصحف .وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصحف الإمام.

([1])معبد، نفحات في علوم القرآن، 24

ثم نسخوا منه نسخا. وردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في صحيفة أو مصحف أن يحرق [1])

ذهب أكثر المستشرقين . تبعاً لأهل السنة . إلى الاعتقاد بعدم جمع القرآن في عهد النبي ﷺ بشكلٍ كاملٍ، ولم يتمّ جمعه في مصحف. وفيما يأتي نستعرض أشهر آرائهم، ومن ثمّ نناقشها تباعاً:

1- ثيودورنولدكه:يذهب ثيودور نولدكه إلى القول بأن نظريات القرآن عند المسلمين على ثلاثة أقسام:

أ-جمع القرآن على عهد أبي بكر.

ب . جمع القرآن على عهد عمر.

ج . بداية جمع القرآن على عهد أبي بكر ونهايته على عهد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان. وقال: إن القرآن لا يمكن أن يكون قد جُمع في عهد النبي[2]

2- ريجي بلاشير: يذهب بلاشير إلى الاعتقاد بأن تاريخ القرآن وتطوّر العلوم القرآنية كان رهناً بثلاثة عوامل:

أ-استخدام خط بدائي لكتابة القرآن.

ب . ضياع نسخة من الوحي تمت كتابتها بإشراف شخصي من النبي محمدﷺ

ج . بالالتفات إلى ما تقدم، يثبت ضعف الكتابة، وضياع النص الثابت، والاعتماد على الحفظ من الذاكرة والنقل مشافهة[3]

([1])معبد، نفحات في علوم القرآن، 24

([2])انظر: ثيودور نولدكه، تاريخ القرآن، ص 252.

([3]) بلاشير، ريجي، در آستانه قرآن، ص 15.

وبذلك فقد عمد ريجي بلاشير إلى ملاحظة ضعف الكتابة، وضياع النص الثابت، والتعويل على الذاكرة والرواية الشفهية، ومن ثمّ لا يُشير في استنتاجه إلى جمع القرآن بمعنى الكتاب المدوّن والمجموع بين الدفتين في عهد رسول الله ﷺ

3- مونتغمري وات: كان مونتغمري وات مستشرقاً إنجليزياً، وقد تحدث في آخر كتاب له عن خلاصة ما توصّل إليه بشأن الدراسات الإسلامية؛ فقال: لقد بذل المسلمون اهتماماً وافراً وجاداً من أجل جمع القرآن، فكانوا يبادرون إلى كتابة الآيات فور نزولها، حتى تمّ لهم جمعه عام 650 للميلاد رسمياً[1]

وبذلك يكون مونتغمري وات قد وضع نظرية جمع القرآن بعد عهد رسول الله ﷺ ، لأن عام 650 للميلاد يصادف السنة التاسعة والعشرين للهجرة، أي بعد مضي ثماني عشرة سنة على رحيل رسول الله ﷺ

4-آرثور جيفري: ذهب آرثور جيفري إلى القول بأن أبا بكر هو أول من كتب القرآن على صحف كبيرة. ثم قام عثمان بنشر هذه المصاحف بغية توحيد القراءات على قراءة واحدة[2]

أدلة جمع القرآن الكريم في عصر النبي ﷺ على شكل كتاب بين دفتين:

هناك أدلة على جمع القرآن الكريم في عهد النبي الأكرم ﷺ على شكل كتاب مدوّن، ونشير إلى بعض تلك الأدلة على النحو الآتي:

([1])وات، مونتغمري، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ص 128.

([2]) انظر: ابن أبي داود، المصاحف، ص 5.

1- حديث الثقلين: «إِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ الله وَعِتْرَتِى ...». وهو حديث متواتر بين الفريقين من أهل السنة والشيعة[1]. ولا يمكن أن يكون المراد من الكتاب في هذا الحديث الأوراق المتفرّقة بين أيدي الصحابة؛ وذلك لعدم إطلاق الكتاب على الأوراق المتناثرة.

2- . ختم القرآن: كان بعض الصحابة، من أمثال: عبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب يختمون القرآن على رسول الله ﷺ [2]. روي في البخاري حديثٌ مضمونه أن النبي ﷺ قد أمر عبد الله بن عمرو بن العاص بأن يختم القرآن في كل سبع ليال [أو ثلاث]، وذلك إذ قال له النبي ﷺ (كيف تختم؟)، قال: كلّ ليلة. قال ﷺ (... إقرأ القرآن في كل شهر).. قلت: أطيق أكثر .. قال ﷺ (... إقرأ في كل سبع ليالٍ مرّة).. [قال أبو عبد الله: وقال بعضهم: في ثلاثٍ، وفي خمسٍ. وأكثرهم على سبعٍ][3]

إن ختم القرآن في هذه الرواية يُثبت أن القرآن كان مدوناً على شكل كتاب في حياة النبي الأكرم ﷺ

.

3- وجود كثير من المصاحف في حياة النبي الأكرم ﷺ منها: مصحف عبدالله بن مسعود، ومصحف أبيّ بن كعب، و....، مما يُثبت أن القرآن الكريم كان موجوداً على شكل كتاب عند بعض الصحابة في الحدّ الأدنى.

([1]) الزنجاني، عبد الله، تاريخ القرآن، ص 50.

([2])انظر: مير محمدي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ص 126.

([3])انظر: البخاري، صحيح البخاري، ص 628 . 629.

4- ذهب جون بارتون إلى القول بأن القرآن كان مجموعاً في حياة النبي ﷺ . ويمكن الالتزام بهذا القول ولكن لا على أساس الأدلة التي ذكرها في تحقيقاته، وإنما على أساس الأدلة والشواهد التي أقامها بعض علماء المسلمين في هذا الشأن. فقد ذهب بعض المحققين المسلمين من أمثال: السيد المرتضى، والسيد جعفر مرتضى العاملي، وآية الله الخوئي، إلى القول بتدوين القرآن الكريم في عصر النبي الأكرم ﷺ وقد أقاموا لإثبات هذا القول شواهد وأدلة عقلية وتاريخية وروائية وقرآنية[1]

يتضح مما تقدم أن العقل لا يستسيغ القول بنزول القرآن على النبي الأكرم ﷺ وإهمال النبي له وعدم الاهتمام في إيصاله إلى الناس بالشكل الصحيح. وعليه لا يكون ما ذهب إليه المستشرقون وأهل السنة في هذا الشأن صحيحاً، على الرغم من أنّ بعضهم يقرّ بجمع القرآن في عهد النبي الأكرم ﷺ ولكن على أوراق متناثرة ومتفرّقة.

يذهب الشيعة إلى الاعتقاد بأن الإمام علي عليه السلام هو أول من بادر إلى جمع القرآن الكريم بعد رسول الله ﷺ قال العياشي في تفسيره: أمر النبي الأكرم ﷺ الإمام علي عليه السلام أن لا يخرج بعد رحيله من بيته لغير الصلاة، حتى يجمع كتاب الله[2]

وقال ابن النديم أيضاً: إن الإمام علي عليه السلام قد آلى على نفسه بعد رحيل النبي الأكرم ﷺ أن لا يرتدي برداء ولايخرج من بيته إلا لصلاة، حتى يجمع القرآن؛ فلزم داره حتى جمع القرآن[3]

([1])انظر: الخوئي، أبو القاسم، ص 269 . 271؛ الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج 1، ص 43 . 193.

([2])الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، ص 252.

([3])ابن النديم، الفهرست، ص 47 . 48.

وحيث أن الإمام علي عليه السلام عمد إلى جمع القرآن على ترتيب نزوله، فقد كان هذا القرآن متميّزاً وفريداً من نوعه، ومن هنا كان منذ البداية محط الأنظار بشكل خاص. حتى قال الإمام علي عليه السلام (ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أقرأنيها وأملاها عليّ؛ فأكتبها بخطي[1] وعلمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها)[2]

خصائص مصحف الإمام علي (عليه السلام):

1- فيه كل ما نحتاج إليه، حتى الأرش في الخدش[3] بمعنى أنه كان يشتمل على بعض التوضيحات والتفاسير.

2- لقد أملي باطن هذا المصحف على الإمام علي عليه السلام من قبل النبي صلى الله عليه وآله وظاهره من قبل جبرائيل (عليه السلام)[4] بمعنى أن إيضاحاته التفسيرية قد اشتملت على روايات باطنية مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله

3- إن الزيادات الموجودة فيه قد تمّت من قبل الوحي[5]. بمعنى أنها جاءت في إيضاح تلك الروايات.

4. ذكر فيه أسماء أهل الحق وأهل الباطل[6] بمعنى أن الإيضاحات التفسيرية قد اشتملت على مصاديق لبعض الآيات.

([1])انظر: راميار، محمود، تاريخ قرآن، ص 367.

([2])انظر: العياشي، تفسير العياشي، ج 1، ص 226؛

([3]) العسكري، القرآن الكريم وروايات المدرستين، ج 2، ص 307.

([4])البحراني، مدينة المعاجز، ج 2، ص 187.

([5])الحسيني، معروف، دراسات في الحديث والمحدّثين، ص 352.

([6]) الكاشاني، الصافي في تفسير القرآن، ج 2، ص 25.

5 . إنه قد جمع على أساس ترتيب النزول[1]

مآل مصحف الإمام علي (عليه السلام).

يتضح لنا من مجموع الروايات بهذا الشأن أن الإمام علي (عليه السلام) بعد أن أكمل جمع القرآن لفه في رداء أصفر وجاء به إلى المسجد وخاطب الناس قائلاً: (قال رسول الله ﷺ إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي. وهذا كتاب الله وأنا عترته). فقام الخليفة الثاني وقال: إذا كان عندك قرآن، فعندنا قرآن مثله، ولا حاجة لنا بك ولا بقرآنك. وبطبيعة الحال هناك روايات أخرى تذكر أن السبب الرئيس الكامن وراء رفض جمع الإمام علي عليه السلام ومصحفه، هو اشتماله على هوامش وتفسير لم يعجب السلطة الحاكمة. بيد أنه حتى لو تمّ التشكيك في الحديث المتعلق بجمع الإمام علي عليه السلام للقرآن، لا يمكن لنا من الناحية العقلية أن نفهم كيف يكون لصحابة مثل أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود قرآن، ولا يكون للإمام علي مثل هذا القرآن وهو الذي كان أشدّ لصوقاً بالنبي الأكرم ﷺ وبالقرآن الكريم من بين سائر الصحابة، حتى وصفه رسول الله ﷺ قائلاً: (علي مع القرآن، والقرآن مع علي). كما يبدو التهافت والتناقض واضحاً في كلمات أهل السنة في هذا الشأن، كما هو الحال بالنسبة إلى المستشرقين أيضاً، فها هو المستشرق الألماني ثيودور نولدكه في الموضع الذي يُنكر فيه وجود مصحف للإمام علي عليه السلام يعود في ذات الموضع ليتحدث عن ترتيب السور في مصحف الإمام علي عليه السلام [2]

([1]) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج 1، ص 58.

([2])نولدكه، ثيودور، تاريخ القرآن، ص 244.